المشرق الاسلامي ما بين القرنين (8– 15م)

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

مقياس: المشرق الاسلامي ما بين القرنين (ق 8– ق 15م)

المستوى الدراسي:03

السداسي:06

وحدة التعليم: الاساسية

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي: 45سا

طريقة التقييم: علامة الأعمال الموجهة50% +الامتحان %+50

اسم ولقب الاستاذ:مُحَّد الصديق محمودي

البريد الالكتروني:mohamedelseddik.mahmoudi@univ-msila.dz

–أهداف المقياس:يكتسب الطالب من خلال دراسته لهذه المادة التعرف على تاريخ العهد الثاني من الدول الأموية وتاريخ الدولة العباسية والمستوى الحضاري التي عرفته طوال فترة وجودها وتاريخ الدولة الفاطمية وحضارتها وعلاقتها المذهبية والسياسية مع قوى المنطقة وقتئذ.

–التقويم التشخيصي والمكتسبات القبلية:

المكتسبات القبلية:جذور الصراعالسياسي والمذهبي بين المسلمين وتاريخ الخلافة العباسية واوضاعها الداخلية خاصة المذهبة.

تقويم تشخيصي :ما هي ابرز اشكال الصراع المذهبي بين المسلمين في العصر العباسي؟

–محتوى أو محاور المقياس:

الوحدة: المشرق الاسلامي بين القرنين (8–15م)

السداسي السادس:

المحور الأول: الخلافة الفاطمية في المشرق الإسلامي.

المحاضرة1: التشيع.

المحاضرة2: التشيع من الفكرة الى الدعوة الى الدولة:

المحاضرة 3: انتقال الدولة الفاطمية الى المشرق (الخطوات الاستقرار والتوسع).

المحور الثاني: المجتمع المشرقي في عهد الفاطميين.

المحاضرة 1: تركيبة وطبقات المجتمع:

المحاضرة 2: دور وواقع المرأة في المجتمع الفاطمي في المشرق.

المحاضرة 3: الاحتفالات في المجتمع الفاطمي في المشرق.

المحور الثالث: الأزمات السياسية والاقتصادية والمذهبية في عهد الدولة الفاطمية

المحاضرة 1: الأزمات السياسية

المحاضرة 2: الأزمات الاقتصادية.

المحاضرة 3: الأزمات المذهبية.

المحور الرابع: سقوط الدولة الفاطمية وظهور الدول السلطانية (الأيوبيون، المماليك)

المحاضرة 1: سقوط الدولة الفاطمية الاسباب والنتائج

المحاضرة 2: الأيوبيون

المحاضرة 3: المماليك

الوحدة: المشرق الاسلامي بين القرنين (8-15م)

السداسي السادس:

المحور الأول: الخلافة الفاطمية في المشرق الإسلامي.

المحاضرة1: التشيع.

هدف المحاضرة:التعريف بالمذهب الشيعي اسما وتاريخا واصولا لفهم خلفيات الدولة الفاطمية.

بعد وفاة النبي ﷺ ومضي السنين والابتعاد عن عصر السلف انقسم المسلمون الى فرق وجماعات منها الشيعة فمن هم الشيعة ومتى ظهروا وما هي أهم عقائدهم؟.

1-التعريف:

الشيعة لغة: يقول العلامة ابن خلدون (ت 808هـ/1406م): " اعلم أنّ الشّيعة لغة هم الصّحب والأتباع" فشيعة الرجل أتباعه فشيعة علي أنصاره وأتباعه.

فالشيعة في مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى:وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ" الصافات 83.

شرعا: فرقة من فرق المسلمين قالت بحق علي ﷺ وبنيه في الإمامة نصا ووصية وأنّها لا تخرج عنهم إلّا بظلم من غيرهم ظهرت بشكل جلي اثناء احداث الفتنة الكبرى (35-40هـ/656-661م) بعد معركة صفين سنة (37هـ/658م).

ويضيف العلامة عبد الرحمن بن خلدون: "...ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسّلف على أتباع عليّ وبنيه ﷺ ومذهبهم جميعا متّفقين عليه أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي تفوّض إلى نظر الأمّة ويتعيّن القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدّين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبيّ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمّة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصّغائر وإنّ عليّا ﷺ هو الّذي عيّنه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤوّلونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السّنّة ولا نقله الشّريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة".

2-ظهور التشيع:

تعود بدايات التشيع إلى أحداث الفتنة الكبرى (35-40هـ/656-661م) فبعد واقعة صفين الشهيرة بين علي ومعاوية ﷺ أجمعين سنة (37هـ/658م) وقضية التحكيم انقسم المسلمون إلى أهل سنة وخوارج خرجوا على علي ومعاوية ومن قبل بالتحكيم وفرقة ثالثة شايعت علي واتّبعته وهي الجذور الإولى للتشيع وقد كانت فرقة سياسية تقول بحق علي في الحكم لا غير.

وبعد استشهاد علي على يد الخوارج سنة (40هـ/661م) اتبع الشيعة ابنه الحسن وبعد تنازله (الحسن) عن الخلافة لمعاوية ﷺ أجمعين اختفى التشيع السياسي (توفي الحسن سنة 50هـ/670م) ليظهر بعد طلب الحسين للخلافة وعدم مبايعته ليزيد بن معاوية وكان مركز هذا التشيع الكوفة حيث بايعوا الحسين على الخلافة والنصرة وفي طريقه اليهم خذلوه واستشهد على يد جند يزيد بن معاوية (دون أمر من يزيد) في معركة كربلاء سنة (61هـ/681م).

بعد فاجعة كربلاء ظهرت فرقة شيعية عرفت بالكيسانية التي قالت بإمامة مُحَمَّد بن علي بن ابي طالب المعروف بمحمد بن الحنفية ثم اتبعت ابنه عبد الله ابو هاشم لينتهي ذكرها بتحالف ابو هاشم مع العباسيين ووفاته سنة (98هـ/717م).

وفي العهدين الاموي والعباسي تطور الفكر الشيعي من الأولوية السياسية إلى عقائد وفروع مخالفة لأصل الاسلام وظهرت الكثير من الفرق التي تعتنق عقائد منحرفة على رأسها الاثناعشرية والاسماعيلية.

ائمة الشيعة

(ملاحظة مهمة: هؤلاء الائمة لا علاقة لهم بالتشيع والشيعة فقد كانوا سنة وانما الشيعة زعموا اتباعهم وانهم كانوا قادتهم وعندما كان ينفي الائمة تشيعهم قال الشيعة انما هي تقية من الائمة)

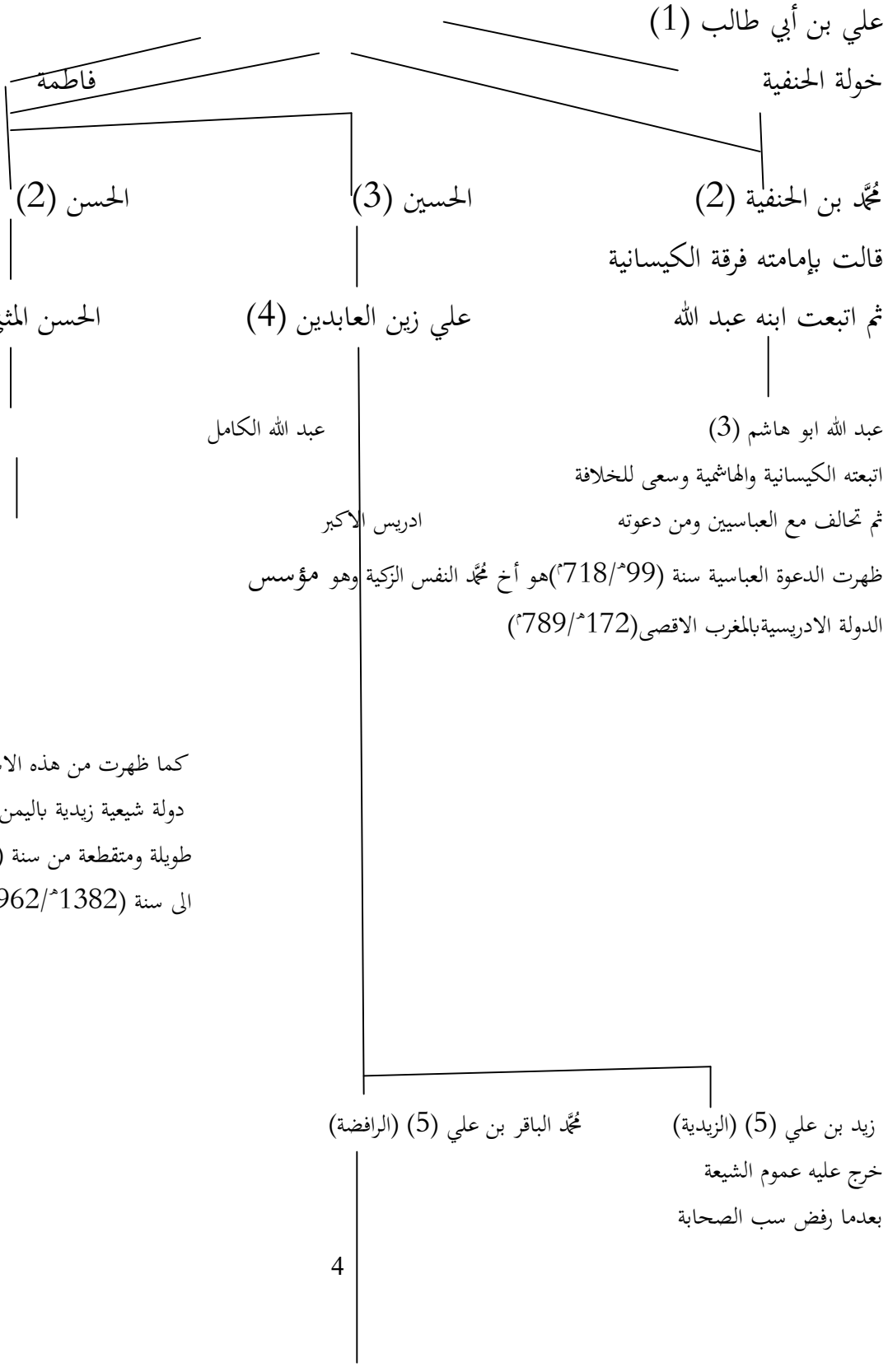

وسمي من بقي معه واتبعه
زيدية ومن خالفه سموا رافضة

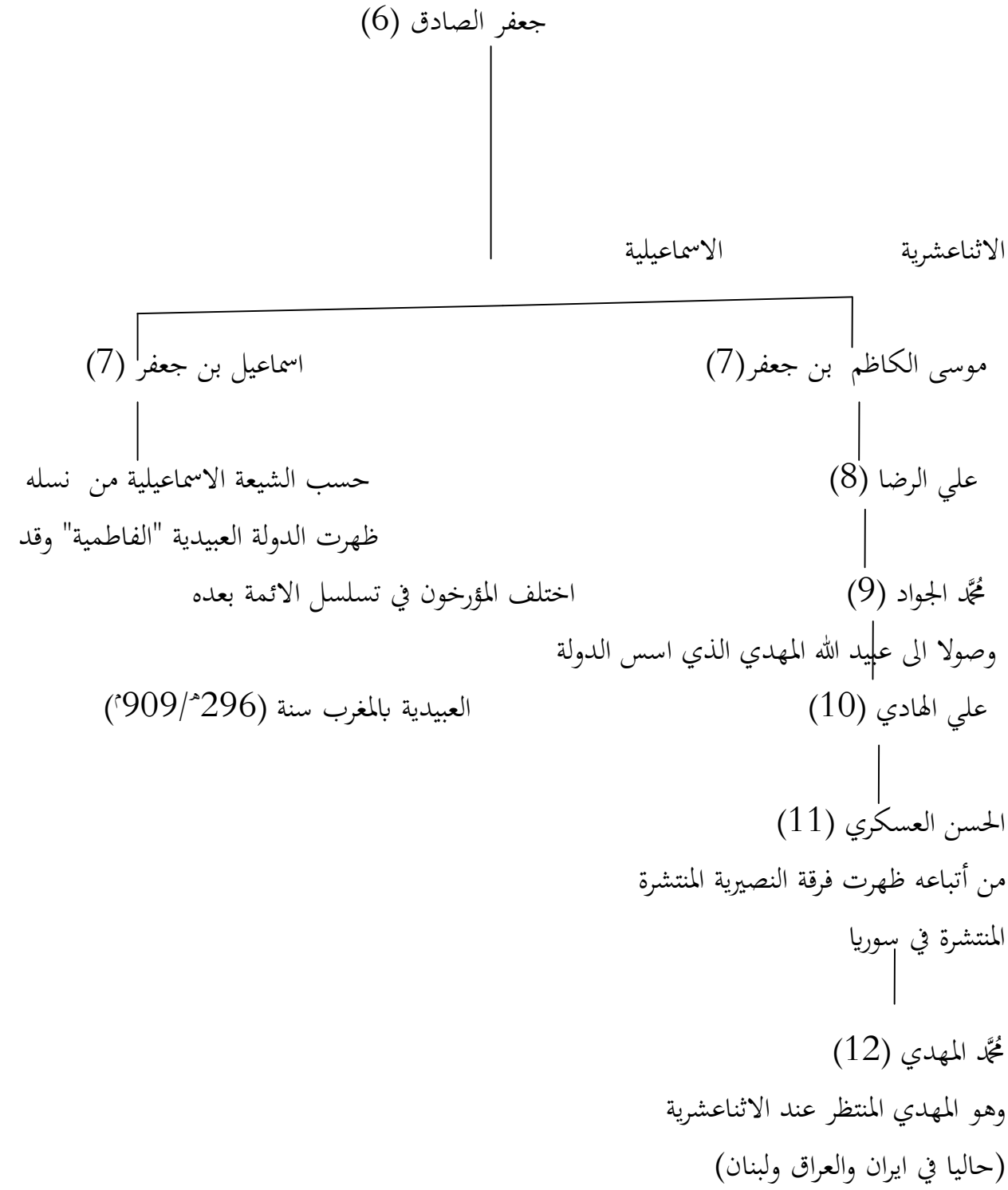

وانطلاقا من هذه الأفكار بدأ الشرخ العقائدي يتسع بين المسلمين فبعد الخوارج ظهر التشيع السياسي الذي يقول بحق آل علي في الامامة شرعا، ثم تطور هذا التشيع السياسي إلى تشيع عقائدي عرف الكثير من الانحرافات والخلاف لعقيدة أهل السنة والجماعة وظهرت الكثير من فرق الشيعة يمكن تقسيمها إلى معتدلة

وغلاة المعتدلة على رأسها الزيدية أما الغلاة فتضم هذه المجموعة أغلب فرق الشيعة أشهرها الاثنا عشرية والاسماعيلية.

3-أهم عقائد الشيعة:

تعددت عقائد الشيعة بتعدد فرق الشيعة وقد اتفقوا على بعض العقائد ولم يشذ عنها إلّا عدد قليل كالزيدية وهذه العقائد هي:

-الإمامة وهي أمر واجب لا يترك للخلق بل بأمر الله تعالى وتكون لعلي وبنيه نصا ووصية وهي من أكان الاسلام (حسب زعمهم).

-الوصية مفادها أنّ امامة علي وبنيه تمت بوصية القران والسنة.

-العصمة أي عصمة علي وأئمتهم عن الصغائر والكبائر.

-الرجعة وهي رجعة المهدي من أئمتهم بعد غيبته.

-التقية الكذب عند الضرورة بإخفاء ما يبطنون.

كما ظهرت أفكار أكثر انحرافا دانت بها بعض فرق الشيعة كالإسماعيلية التي خرجت منها الدولة العبيدية منها:

-وصف الأئمة بصفات الالوهية.

-القول بتناسخ الأرواح قاصدين أئمتهم بأنّ روح النبي مُحَمَّد ﷺ حلت في علي.

-القول بأنّ لنصوص الوحي معنى ظاهر ومعنى باطن والباطن لا يعلمه إلّا أئمتهم وعلماؤهم لذلك حرفوا معاني النصوص بما يخدم مذهبهم. (وهذا ما جعل عامتهم أتباع بدون تفكير)

-سب الصحابة وتكفيرهم وأنّهم ارتدوا بعد النبي ﷺ.

-القول بأنّ الامام هو وارث الأنبياء جميعا ومن سبقه من الأئمة.

-القول بأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية.

من كل هذا يظهر لنا الشيعة من فرق المسلمين التي بدأت بأفكار سياسية تطورت إلى الجانب العقائدي.

الوحدة: المشرق الاسلامي بين القرنين (8-15م)

السداسي السادس:

المحور الأول: الخلافة الفاطمية في المشرق الإسلامي.

المحاضرة2: التشيع من الفكرة الى الدعوة الى الدولة:

هدف المحاضرة:تبيين كيف تطور المذهب الشيعيخاصة الاسماعيلي من الفكرة الى الدعوة وصولا الى اقامة الدولة الفاطمية.

ظهر التشيع كفكرة سياسية تنادي بإمامة آل بيت علي بن أبي طالب ثم تطورت هذه الفكرة بموازاة تطور عقائدي دعم الطرح السياسي بأفكار أكثر تطرفا فكيف ومتى تطورت أفكار الشيعة السياسية من الجانب النظري الى العملي؟.

1- في العهد الراشدي (11-40هـ/632-661م):

ظهر التشيع السياسي في خلافة علي بن أبي طالب في خضم أحداث الفتنة الكبرى وانحصرت أفكاره في هذه الفترة على حق علي ثم ابنه الحسن ﷺ في الخلافة والدعوة إلى ذلك دون تهيكل سياسي ظاهر.

2- في العهد الأموي (41-132هـ/661-750م):

شهد هذا العهد تطورات خطيرة في تاريخ التشيع بعد استشهاد الأمام الحسين في كربلاء (61هـ/681م) على يد جند بني أمية، فظهرت حركة مسلحة متشيعة هي حركة التوابين التي سعت إلى الاقتصاص من قتلت الحسين، وظهرت كذلك فرقة الكيسانية التي زعمت أتباع مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وطالبت بإمامته وإسقاط الأمويين، وسعت إلى ذلك سرا وبعد وفاته سنة (81هـ/700م) قالت بإمامة إبنه عبد الله أبو هاشم واتبعته، وخرجت منها فرقة أخرى اتبعته هي الهاشمية وبما أنّه لم يكن له أبناء يخلفونه تحالف مع أبناء عمومته العباسيين الذين ورثوا دعوته وبوفاته سنة (98هـ/717م) انتهت الفرقتين (الكيسانية والهاشمية).

3- في العهد العباسي (132-656هـ/750-1258م):

في هذا العهد تتطور أفكار الشيعة من كل النواحي السياسية والعقدية والفقهية، حيث تمكن الشيعة من تطوير أفكارهم ونضالهم السياسي من الفكرة إلى الدعوة إلى الدولة حيث تجاوزوا مرحلة الأفكار والدعوات البسيطة إلى الدعوة المنظمة النشيطة التي مكنتهم من اقامة دولهم.

وكان وقود هذه الدعوات أفكار متباينة من فرقة شيعية إلى أخرى على النحو الآتي:

أ- أتباع أئمة آل البيت السنة: وكان هؤلاء الأئمة سنة قادوا بأنفسهم الثورة، وأشهر هذه الحركات حركة مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية الذي قاد حركة

سياسية بدأت سنة (145هـ/762م) بالمدينة المنورة وكانت من أخطر الحركات العلوية على العباسيين، لسعيه إلى الخلافة منذ عهد الدعوة العباسية ضد بني أمية، وبقيام الخلافة للعباسيين دون العلويين لم يبايعهم واستتر عنهم خوفا منهم فقبض على أهل بيته فقتلوا فخرج وثار على العباسيين، فسيطر على المدينة المنورة ومكة والبصرة وجزء من بلاد فارس فحذره الخليفة المنصور من مسعاه فرفض الرجوع عن ثورته فبعث إليه المنصور جيشا ضخما تمكن من هزمه وقتله فانتهت حركته.

وحركة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وهو أخو النفس الزكية ثار بالبصرة سنة (145هـ/762م) سعت حركته كذلك إلى الخلافة وانتهت في نفس السنة بمقتله على يد العباسيين.

وحركة الحسين بن علي العابد بن الحسن بن الحسن بن علي حركة علوية اتبعها الشيعة خرجت في المدينة ومكة، كانت تريد الخلافة، استطاع الخليفة الهادي القضاء عليها في معركة فخ الشهيرة (قرب مكة) عام (169هـ/785م) التي تشتت فيها البيت العلوي وأفلت من هذه المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فوصل إلى المغرب الأقصى وأسس دولة الأدارسة.

وحركة يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن سنة (176هـ/793م) وكانت ببلاد الديلم (أو جيلان ببلاد فارس) والذي أرهق الخلافة العباسية فترة من الزمن، لكثرة شيعته واشتداد شوكته حتى احتالوا عليه بالأمان والصلح فألقي عليه القبض وسجن إلى غاية وفاته.

ب– أتباع الفرق الشيعية المعتدلة: وعلى رأس هؤلاء الشيعة الزيدية، الذين انتشروا في اليمن وأقاموا دولة زيدية عمّرت مدة طويلة من العهد العباسي إلى التاريخ المعاصر من سنة (284هـ/897م) الى سنة (1382هـ/1962م)، ولم يكن لها تأثير ظاهر لأفكارها المعتدلة، إضافة إلى الدولة الحمدانية (317-394هـ/929-1004م) بالموصل والشام التي كانت شيعة اثناعشرية ولكن حكامها اشتهروا بالتسامح ولم يفرضوا مذهبهم على الناس ولم يسعوا إلى الخلافة، كما لم يكونوا من آل البيت فلم يكن لهم أثر واضح وأكثر من ذلك سقطوا على يد الشيعة العبيديين.

جـ– أتباع الشيعة الغلاة وتأسيس الدولة الفاطمية العبيدية: وهم أقوى وأخطر الفرق لانحراف عقائدهم وأهدافهم السياسية فقد اختلفوا عن أهل السنة اختلافا جوهريا، كما لم يعترفوا بالخلافة السنية وسعوا إلىإسقاطها بكل السبل الممكنة، أشهرها الدعوة الاسماعيلية التي تجسدت في دعوة القرامطة وفي الدعوة التي أسست الدولة العبيدية بالمغرب ثم انتقلت الى المشرق وكانت دعوتها كمايلي:

فبفعل فشل الدعوات السابقة في العراق والشام وفارس في انجاح المشروع الشيعي الساعي الى الخلافة وقع الاختيار على اليمن لكي يكون مركزا لدعوة الشيعة الإسماعيلية لبعدها عن أنظار الدولة العباسية، ومنها انطلقوا في إعداد الدعوة السرية لإقامة خلافتهم، وكان قائد الدعوة في اليمن وقتئذ رستم بن حوشب الذي

دخل اليمن سنة (268هـ/882م) ونظم الدعوة بشكل محكم ورأى أنّ أرض المغرب هي الأنسب لنشر بذور الأفكار الشيعية، فأرسل[1] من اليمن رجلين من أنصاره هما أبو سفيان والحلواني إلى المغرب الأدنى لنشر المذهب الشيعي، واستطاعا أن يتوغلا بأفكارهما في قبائل البرانس القوية.

وبعد وفاتهما في حدود سنة (288هـ/901م) اختار ابن حوشب أبا عبد الله الشيعي الصنعاني ليكمل مهمتهما وكان قد وقع اختيار ابن حوشب على هذا الرجل لما لمس فيه من صفات قيادية بارزة من علم وذكاء ومقدرة في التعامل مع الناس، وقال له: "إنّ أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وسفيان، وقد ماتا، وليس لك غيرها فبادر فإنّها موطأة ممهدة لك"، فأرسله حوالي سنة (288هـ/901م)فوصل أبو عبد الله الشيعي الرجل الداهية إلى مكة، وبحث عن وفود المغاربة التي جاءت للحج واستطاع أن يتعرف على حجيج قبيلة كتامة، التي تنتمى إلى بربر البرانس وتقرب منهم بما أظهره لهم من زهد وعلم، وجعل لقاءه بهم يبدوا كأنّه مصادفة، وبدأ يتعرف أحوالهم وميولهم المذهبية، ولم يفصح عما أضمره وما جاء من أجله وتمكن هذا الداعية من قلوب الشيوخ الكتاميين، ورجع معهم غربا موهما إياهم أنّه يريد مصر لتعليم الأولاد القرآن، وعرضوا عليه الذهاب معهم إلى المغرب، فأظهر عدم الرغبة، ثم بسياسته لبى طلبهم ونزل في القيروان ليبحث عن مواطن الضعف في دولة الأغالبة الحاكمة للمغرب الادنى (184-296هـ/800-909م)، وأخذ يجمع المعلومات لمعرفة أقوى القبائل، وما هي الوسائل النافعة للتغلغل في بلاد المغرب، وبعد أن أيقن أنّ أقوى القبائل في المنطقة هي الكتامية قرر الذهاب إلى بلدة تسمى "إيكجان" (حاليا ببني عزيز ولاية سطيف) وهي بلدة في جبل وعر، ونهج في حياته نهج المعلم المؤدب الورع، وسلك سلوك الزهد والعفاف حتى تملك قلوبهم، واشتهر صيته، وأقبلت عليه القبائل البربرية وتصدى لتعليمهم وتفقيههم في الدين وفق المذهب الشيعي، ثم دخل في الأمور السياسية ونظام الحكم، وفضل العلويين وأحقيتهم في الحكم.

ثم عمد أبو عبدالله الشيعي إلى مصارحة بعض الكتاميين بحقيقة أمره، ورغبته في إقامة دولة لآل البيت تقوم على أكتافهم، موهما إياهم بأنّ الروايات جاءت بذلك، وأخبرت عما ينتظرهم من الأجر في الدنيا والآخرة وأخذ أبو عبدالله على عاتقه تنظيم صفوفهم وبعض أبناء القبائل الأخرى، وقسمهم إلى سبعة أقسام، وجعل على رأس كل قسم منها داعية يثق فيه، فاستطاع بهذا الأسلوب العملي إقامة مجتمع يدين بفكرة إقامة الدولة المثالية التي يحكمها إمام من آل البيت، وبعد نجاح ذلك اتخذ أبو عبدالله الشيعي من أبناء كتامة جندا يدافعون عن الدعوة، ويهاجمون القوى السياسية الموجودة بالمنطقة.

---

[1] – كما توجد رواية أخرى عن بداية الدعوة الاسماعيلية بالمغرب ترجعها إلى جعفر الصادق (ت148هـ) أشهر من نقلها ابن خلدون وهي رواية منافية للحقائق التاريخية وقد ردها الكثير من الباحثين بأدلة قوية منهم خالد كبير علال في كتابة أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة ص 110-113 راجع الكتاب.

إقامة الدولة: بعد انتشار دعوته وتهيكلها انتقل إلى الخطوة التالية وهي إقامة الدولة مستغلا دعوته والظروف المحيطة فبسبب الظلم والباطل والضعف الذي انتشر في دولة الأغالبة، وما نشره من أفكار استجابت بعض القبائل للداعية الشيعي وبدأ الصدام مع الأغالبة، وانتقل أبو عبد الله الشيعي إلى حصن منيع في جبال الأوراس ومنه كان يوجه الضربات المتتالية لدولة الأغالبة، واعتمد في ذلك أيضا على فضح الأغالبة ونشر ظلمهم، وبيان أنّ حكمهم خارج عن الإسلام، وأثار الأحقاد القديمة بين الدولة الأغلبية وبعض القبائل، وأعطى عهودا ومواثيق لرجال وزعماء كتامة أنّ المستقبل والدولة والتمكن لهم، فخضعت له القبائل وتوالت المدن في السقوط، وغنم غنائم عظيمة واشتد حماس أتباعه وساعده على ذلك انحلال وضعف دولة الأغالبة وانغماسهم في الترف، وتذمر الناس من الأمراء ومن ظلمهم، وأظهر أبو عبد الله من الحزم والشجاعة والمقدرة السياسية والكفاءة العسكرية ما جعله ثقة لمن حوله من القادة والجنود، فأعطاه ذلك شعورا بأنّ الوقت حان لكشف دعوته بأن يدعو للرضى من آل البيت النبوي الذي سيظهر عن قريب ويتولى أمور الحكم.

فاستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يستولي على جميع المراكز الحربية ما بين حصنه في جبال الأوراس حتى عاصمة الأغالبة رقادة في عدة وقائع أشهرها معركة كنيونة، التي انتصر فيها على الأغالبة سنة (293هـ/906م)، وفي سنة (296هـ/909م) دخل أبو عبد الله الشيعي رقادة عاصمة الاغالبة وفر زيادة الله الثالث الى مصر وبذلك انتهت دولتهم وقامت الدولة العبيدية.

وأعلن أبو عبد الله إثر هذا النصر الحاسم على الأغالبة أنّ الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي وأنّه سيصل قريبا إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة.

ونجح أبو عبد الله الشيعي في تثبيت دعائم الحكم في رقادة بواسطة زعماء قبيلة كتامة وخصوصا سيدهم ومطاعهم "غزوية بن يوسف" وبقية قومه، وأرسل إلى عبيد الله المهدي وابنه القائم للمجئ إلى رقادة، وشد عبيد الله من الشام رحله "من مدينة سلمية" إلى مصر، ثم برقة، ثم طرابلس متخفيا في ثياب التجار، ولفقت قصص عجيبة في نجاته من ولاة الدولة العباسية، ووقع في أسر بني مدرار أمراء سجلماسة جنوب المغرب الاقصى.

واستطاع أبو عبد الله الشيعي سنة (297هـ/910م) أن يجهز جيشا ضخما حطم به دولة بني مدرار وخلص عبيد الله المهدي وابنه من السجن، وفي طريق عودته أسقط الدولة الرستمية في نفس السنة (297هـ/910م) وأصبح المغرب الأوسط إلى تلمسان تابع للدولة العبيدية.

وبهذا انتقل الشيعة الغلاة من الدعوة الى الدولة وتولاها عبيد الله المهدي الذي أعلن قيام الدولة الفاطمية التي زعم نسبها إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكانت بيعة عبيد الله المهدي في رقادة عام (297هـ/910م) وانتهت ولاية أبي عبد الله الشيعي.

وحاول أبو عبد الله الشيعي أن يعتمد في نشر المذهب الشيعي بالدعاية والمناظرة لإقناع علماء السنة والجماعة ولما فشل اضطر أن يستخدم القوة لقلع مذهب أهل السنة والجماعة من عاصمة المغرب الاسلامي، فمارس مع علماء أهل السنة أصناف العنف والشدة فضربوا الفقهاء بالسياط وقطعوا ألسنة بعضهم، وضربوا رقاب بعضهم، وصلبوا البعض الاخر، وصادروا الأموال، ومختلف صنوف التعذيب والتضييق فاشتد بذلك الصراع المذهبي، وهز الدولة الوليدة، واستمر التضييق والقمع بشتى الوسائل الى خروج العبيديين الى مصر سنة (362هـ/973م).

يتبين لنا من كل ما ذكرناه أنّ الشيعة تأسسوا كجماعة سياسية تسعى إلى خلافة علي بن أبي طالب وبنيه وتطوروا تباعا من حيث الأصول والفروع، وسياسيا مطورين أساليبهم من الجانب النظري إلى العملي الدعوي المنظم، حتى تمكنوا من إقامة الهدف المنشود وهو الخلافة الذي تجسد في الخلافة العبيدية الفاطمية بالمغرب.

الوحدة: المشرق الاسلامي بين القرنين (8-15م)

السداسي السادس:

المحور الأول: الخلافة الفاطمية في المشرق الإسلامي.

المحاضرة 3: انتقال الدولة الفاطمية الى المشرق (الخطوات الاستقرار والتوسع).

هدف المحاضرة:تبيين حيثيات قيام الدولة الفاطمية بالمغرب وسياستها به وعوامل وحيثيات انتقالها الى مصر.

تمكن الشيعة الاسماعيلية من إقامة خلافتهم بالمغرب الاسلامي ولكن سرعان ما نقلوها إلى المشرق فما هي اسباب ذلك وكيف تم؟.

الخلافة العبيدية بالمغرب (297- 362هـ/909- 973م):

استقر الأمر للعبيديين بالمغرب بعد جهود دعوية وحربية كبيرة مكنتهم من بسط سلطتهم السياسية دون السلطة الروحية التي سعوا إليها، بفعل مذهبهم الشيعي المخالف لعموم أهل المغرب، ولِما أشيع عن ادعائهم للنسب العلوي، حيث نفى أغلب علماء ومؤرخو أهل السنة نسبهم إلى آل البيت العلوي وسموها العبيدية نسبة إلى أول خلفائها عبيد الله المهدي، وممن قال بانتسابهم إلى آل البيت ابن الاثير والمقريزي وابن خلدون إضافة إلى مؤرخي الشيعة.

وسواء صح نسبهم أم لم يصح، فما يهمنا في الموضوع هو تاريخ هذه الدولة وحضارتها وما قدمته للإسلام والمسلمين، من خير أو شر، وما يستفاد من ذلك من عبر، فقد يكون النسب شريفا والعمل فاسد فلا يغني في الدنيا والآخرة والعكس، ولنا في ابن نوح عليه السلام وأبو لهب أكبر عبرة.

وقد حكم المغرب أربعة خلفاء فاطميين في الفترة من سنة (297هـ/909م) إلى سنة (362هـ/973م)، وهي السنة التي انتقلوا فيها المشرق وكان المعز لدين الله الفاطمى هو آخر هؤلاء الخلفاء، حيث انتقل بالخلافة إلى عاصمته المشرقية الجديدة القاهرة التي اتخذها عاصمة جديدة للفاطميين، بعد أن تم له فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلي سنة (358هـ/969م)، والخلفاء الأربعة هم:

1 المهدى عبيد الله أبو مُحَمَّد (297-322هـ/909-934م).

2القائم مُحَمَّد أبو القاسم (322-334هـ/934-945م).

3 المنصور إسماعيل أبو طاهر (334-341هـ/945- 952م).

4 المعز لدين الله أبو تميم (341-362هـ/952-973م)ثم انتقل الى مصر.

أسباب اهتمام العبيديين بمصر وعموم المشرق:

-السعي للقضاء على الخلافة العباسية وضم كل الأمصار الاسلامية.

-وفرة ثروات المشرق وخاصة مصر.

-تعتبر مصر بوابة بلاد المشرق فالسيطرة عليها تسهل السيطرة على الشام والحجاز ثم العراق.

-السيطرة على الحرمين الشريفين لقربهما من مصر ولأهميتهما الروحية.

-المشاكل المذهبية والسياسية والعسكرية في المغرب.

-مطالبة بعض أهالي مصر للعبيديين بدخولها.

حملات العبيديين على المشرق:

بعد توطين العبيديين سلطانهم بالمغرب أخذوا يسعون إلى دخول مصر التي كانت تابعة للعباسيين ثم للاخشيديين اسميا منذ سنة (323-358هـ/935-969م) معتمدين على الجانبين الدعوي والسياسي والعسكري وكانت أول محاولة عسكرية سنة (301هـ/914م) حيث بعث العبيديون جيشا من المغاربة إلى مصر فاستولى على الإسكندرية ولكن تمكن العباسيون من طردهم منها، وفي سنة (307هـ/920م) ساروا مرة ثانية إلى مصر ودخلوا الإسكندرية فقاومهم العباسيون وهزموهم مرة أخرى وأحرقوا الكثير من مراكبهم وأرغموهم على الخروج سنة (309هـ/922م)، وبعدها قاموا بحملة ثالثة ودخلوا مصر وبقوا بها ثلاث سنوات (321-324هـ/933-936م) وعقدوا معاهدة صلح لم يطل أمدها حيث حاربهم العباسيون وأرغموهم على العودة إلى المغرب مرة أخرى.

دخول مصر والتوسع:

شهدت الدولة العبيدية بالمغرب في خلافة المعز لدين الله (341-362هـ/952-973م) استقرارا وقوة مكنتهم من ضبط الشؤون الداخلية للدولة، حيث قضوا على الثورات وفرضوا سلطة الدولة إلى المغرب الأقصى في حملات عسكرية بقيادة جوهر الصقلي سنة (347هـ/958م) وسنة (357هـ/968م)، ولم تخرج عن سلطانهم إلّا أقاليم ضيقة كانت خاضعة للأمويين خلفاء الأندلس، هذا ما مكنهم من الإلتفات إلىأطماعهم الخارجية وعلى رأسها مصر وعموم المشرق.

فضاعف العبيديون محاولاتهم الدعوية والعسكرية الحثيثة نحو الجبهة الشرقية، فأعدوا العدة لذلك بنشر الدعاة والتحضير العسكري بدءا من سنة (355هـ/966م) فحفروا الآبار على طول الطريق من المغرب الأدنى إلى مصر، وقاموا ببناء أماكن راحة الجنود، وأخرى للخليفة وحاشيته،إضافة إلىإغداق العطاء على الجيش المتوجه إلى مصر كي لا يفكر إلّا مهمته الحربية، زيادة على استغلالهم لفرصة ذهبية في مصر وهي اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية أكثر بعد وفاة واليها القوي كافور الإخشيدي سنة (357هـ/968م)، فساروا إليها في حملة ضخمة وتمكنوا من دخولها ابتداء من سنة (358هـ/969م) وإخراجها من سلطة العباسيين وتم

لهم ذلك في خلافة المعز لدين الله بقيادة جوهر الصقلي الذي فتح عموم مصر وضبطها تمهيدا لنقل الخلافة إليها.

فأزال سلطة العباسيين وشعاراتهم وسك النقود الفاطمية واجتهد في استئصال أعداء الفاطميين والقضاء عليهم وشرع في بناء العاصمة القاهرة في نفس السنة ثم مؤسساتها المهمة كالأزهر سنة (359هـ/970م) ليكون منبرا للفكر الشيعي.

وبما أنّ الهدف الرئيسي للعبيديين من دخول المشرق هو إسقاط العباسيين في العراق وفرض السلطة الروحية الشيعية على كل المسلمين، أخذ جوهر الصقلي بعد استقرار أوضاع مصر يحضر لغزو أقاليم جديدة فدخلوا الشام بغزو فلسطين ودمشق سنة (359هـ/970م) واتموا غزو الشام سنة (360هـ/971م) فدانت لهم بذلك مصر والشام، ولكن دخلوا بعد ذلك في حروب مع الشيعة القرامطة عطّلت سيطرتهم المطلقة على الشام فترة من الزمن، وجعلتهم يوقنون بصعوبة الوصول إلى بغداد معقل العباسيين، واستمر توسع الفاطميين بعد انتقال الخلافة إلى مصر سنة (362هـ/973م).

انتقال الخلافة الى مصر (362-567هـ/973-1171م):

وبعد أن مهّد جوهر الصقلي مصر للمعز العبيدي وأحكم أمورها جهّز المعز جيوشه وحاشيته وأهله وأمواله ونقل حتى رفاة أجداده، وسار إلى مصر ليتولى أمرها، وأسند سلطة المغرب الاسلامي إلى الأمير الصنهاجي بلكين بن زيري وضم المعز إلى مصر أجزاء من المغرب الأدنى ودخل مصر سنة (362هـ/973م).

وبذلك انتقلت الخلافة العبيدية من المغرب إلى مصر التي أصبحت دار خلافة شيعية منافسة للخلافة العباسية السنية في العراق، وكان هذا بمثابة انقلاب مذهبي وثقافي سيغير وجه مصر وبعض الامصار المشرقية لفترة من الزمن.

واستمر الفاطميون في محاولاتهم الحثيثة للسيطرة على المشرق، فبعد تراجع خطر القرامطة أحكموا سيطرتهم على الشام ووصلوا إلى شمال العراق (دون وسط وجنوب العراق) فسيطروا على الموصل سنة (382هـ/992م) كما امتدت سيطرتهم إلى اليمن.

واستمر التفوق الفاطمي على الصعيدين السياسي والعسكري الى منتصف القرن (5هـ)، ليبدأ بعد ذلك بالانحدار، ففي المغرب قطعت لهم الخطبة وخرج عن سلطانهم في عهد المعز بن باديس الصنهاجي سنة (443هـ/1051م)، وأما المشرق فظهر على مسرح الأحداث قوة جديدة هم السلاجقة السنة حلفاء الخلافة العباسة، الذين وصلوا الى بغداد سنة (447هـ/1055م) وأعطوا أهل السنة في المشرق نفسا جديدا في مواجهة الاطماع الفاطمية الشيعية، وساهموا في ظهور قوى مناهضة للفاطميين كالزنكيين والايوبيين الذين كان سقوط الفاطميين على أيديهم بفضل قائدهم الاول صلاح الدين الايوبي سنة (567هـ/1171م).

خلفاء الدولة العبيدية بمصر:

1-المعز لدين الله (341-365هـ/952-975م)

2-العزيز بالله (365-386هـ/ 975-996م)

3-الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م)

4-الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م)

5-المستنصر بالله (427-487هـ/ 1035-1094م)

6-المستعلي بالله (487-495هـ/ 1094-1101م)

7-الآمر بأحكام الله (495-523هـ/1101-1130م)

8-الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م)

9-الظافر بأمر الله (544-549هـ/1149- 1154م)

10-الفائز بنصر الله (549-555هـ/1154- 1160م)

11-العاضد لدين الله (555-567هـ/1160-1171م)

يظهر لنا في الأخير أنّ العبيديين سعوا منذ تأسيس خلافتهم بالمغرب إلى غزو المشرق بهدف السيطرة على العالم الاسلامي وإسقاط القوى المنافسة وكان لهم ذلك بفضل التخطيط المحكم، وتمكنوا من تحقيق الكثير من اهدافهم في المشرق ولكن لم تطل سطوتهم حتى اخذوا في الضعف ثم التراجع والسقوط، وصدقت فيهم نظرية ابن خلدون في قيام الدول وسقوطها.

المحور الثاني: المجتمع المشرقي في عهد الفاطميين.

المحاضرة 1: تركيبة وطبقات المجتمع:

هدف المحاضرة: تهدف المحاضرة الى تبيين الاعراق والطبقات المشكلة للمجتمع المشرقي في عهد الفاطميين.

عرف المجتمع الاسلامي المشرقي بما فيه الفاطمي زخما من الناحية الاجتماعية لعدة اعتبارات، فمن هي الأعراق التي ضمها المجتمع الفاطمي المشرقي؟ وما هي طبقات سكانه؟ وكيف كانت العلاقة بين هذه الاعراق والطبقات؟.

1- أعراق السكان:

كان لاتساع الدولة الفاطمية بالمشرق في سنيها الأولى بسيطرتها على مصر وجنوبها من بلاد السودان والشام والحجاز وشمال العراق واليمن، إضافة إلى امصار المغرب وجزر بحر الروم كصقلية، وكتائب الجيش التي توافد سكانها مع الفاطميين على المشرق، هذا الاتساع كان له أثر واضح في كثرة الأعراق السكانية المشكلة لمجتمع الدولة العبيدية، فنجد العرب والأقباط (اهل مصر) والبربر والسودان (اصحاب البشرة السمراء) والروم

والصقالبة وانضاف إلى هؤلاء بعض العناصر الذين جلبهم الخلفاء كالأتراك والديلم (الديلم من بلاد فارس)، الذين اصطنعهم الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/ 975-996م)، والأرمن، وهذا انعكاس لاتساع الدولة والجغرافي وامتدادها التجاري وعلاقاتها الخارجية، إضافة إلى عالمية الاسلام التي جذبت كل باحث عن التوحيد والعلم والحرية والرحمة، وهذا لأمر الاسلام بذلك والحرص على تطبيقه، قال عزوجل: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ الشورى 15؛ وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يدعوالمشركين والذين أوتوا الكتاب والذين اهتدوا وأنابوا للدين الحق وأن يقيم بينهم العدل ولا يظلمهم لأجل عداوتهم له ولدينه، وقال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة 256؛ فلا يجوز إكراه أحد على الدخول في الإسلام لأنّه بيّن واضح جلي بدلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنّه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مجبرا، وقال ρ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ...»،وتشهد بذلك المستشرقة الألمانية زيغريدهونكه (ت1419هـ/1999م) مبينة سماحة الإسلام التي لا نظير لها بشهادتها: "(لا إكراه في الدين) هذا ما أمر به القرآن الكريم وبناء على ذلك فإنّ العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟ "، فتوافد على أمصار الاسلام مختلف الأعراق والديانات،فلم يُعرّف الإسلام الدولة على أسس عرقية أو جغرافية أو لغوية وإنّما على أساس ديني سمح وسماها دار الإسلام وما عداها دار الكفر، لذلك عم التواضع والتآخي الفريد، فاليهود مثلا عرفوا مجدهم الاجتماعي والاقتصادي وحريتهم الدينية في ظل الحكم الاسلامي فلم توجد حضارة في التاريخ عرفت كثرة الأعراق السكانية وتسامحا مع مخالفي الملّة من مختلف الاعراق كما كانت الحضارة الاسلامية.

كما تعدد المجتمع الفاطمي من حيث الطوائف الدينية كباقي المجتمعات الاسلامي، فكانت الغلبة للمسلمين أصحاب الدولة وقد انقسموا إلى سنة وهم الغالبية وشيعة أصحاب الخلافة والسلطة، وتواجدت عدة ديانات أكثرهم اليهود والنصارى، والنصارى أكثر عددا فالأقباط سكان مصر كانوا نصارى قبل الفتح الاسلامي، وكان هؤلاء أهل ذمة (تحت حماية المسلمين مقابل شروط واضحة) وقد تمتعوا بقدر كبير جدا من الحرية والسماحة وعاشوا جنبا الى جنب مع المسلمين وتمكنوا من شغل مناصب عليا في الدولة حتى أثاروا حفيظة المسلمين من ذلك وطالبوا الخلفاء بالتدخل.

وقد ساهمت جميع هذه الأعراق والديانات في إدارة الدولة حسب مناصبها، وأبرز هذه الأجناس العرب فقد ادعا الخلفاء النسب العربي القرشي وكان تواجد العرب كبيرا بمصر منذ فتحها وهم أهل المشرق الاسلامي وخاصة بالحجاز، وعلى العموم لا نجد لهم أثرا كبيرا في الدولة العبيدية خاصة في السلطة كحال أغلب الدول الاسلامية حتى العربية منها (باستثناء الأموية) لخوف حكام كل دولة من طموحاتهم السياسية ومكانة نسبهم بين بعض الأعراق.

أما باقي الأجناس فجوهر غازي مصر كان صقليا، والوزيران وقائدا الجيوش الفاطميان الشهيران بدر الدين الجمالي (465-487هـ/1073-1094م) وابنه الأفضل الجمالي (487-515هـ/1094-1121م) كانا إرمينيان، والكاتب الفاطمي منصور ابن عبدون الملقب بالكافي (ت401هـ/1011م) كان نصرانيا قبطيا، وكذلك الكاتب فهد بن إبراهيم النصراني (ت 393هـ/1003م)، والوزير عيسى بن نسطورس (يقال أنّه اسلم وقد قتل في خلافة الحاكم) من أقباط مصر، وكان للبربر شان كبير في الدولة فقد كانوا قوام الجيش الغازي لمصر كما كان منهم القادة والوزراء على رأسهم القائد جعفر بن فلاح الكتامي الذي ساهم في غزو مصر وقاد غزو الشام والوزير الحسن بن عمار الكتامي (ت 390هـ/999م)، ودخل الأتراك والديلم بقوة إلى الدولة

خريطة الدولة الفاطمية في أقصى اتساعها

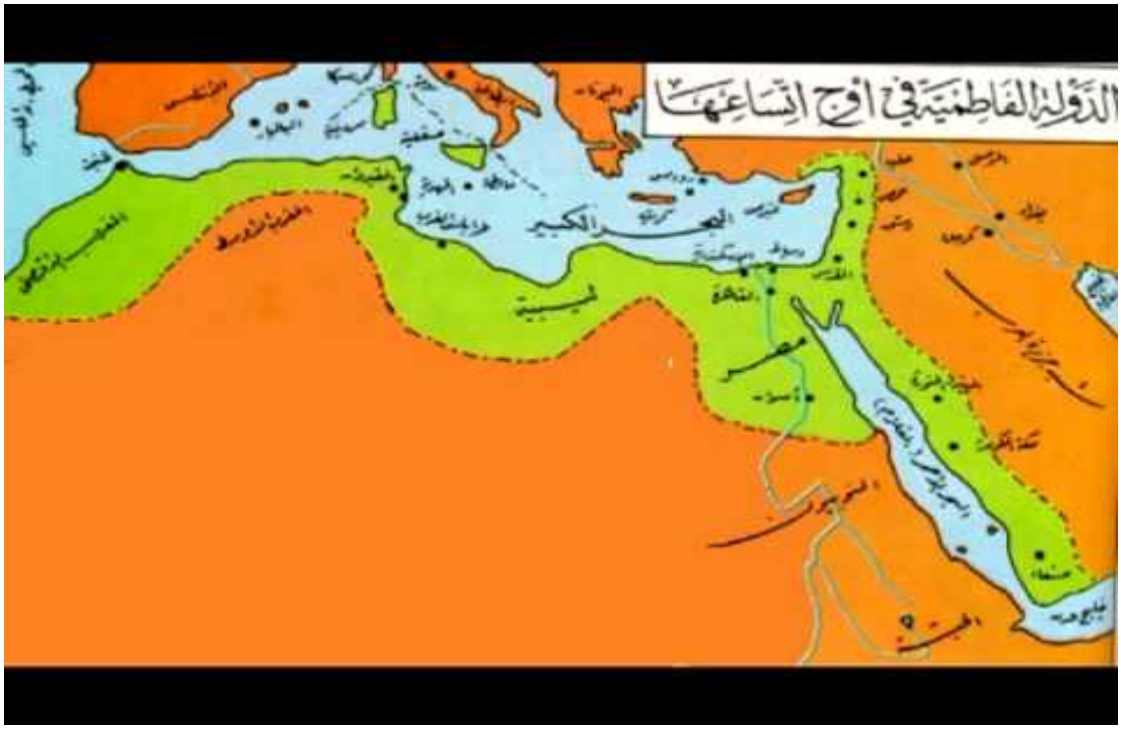

الفاطمية في خلافة العزيز بالله (365-386هـ/ 975-996م) الذي جعلهم من خاصته وكان لهما حارة تعرف بحارة الاتراك والديلم، وأما السودان فقد تواجدوا بكثرة بمصر بشكل خاص، بفعل الامتداد الجغرافي بين مصر وبلاد السودان (المقصود هنا الاقليم الذي يسكنه أصحاب البشرة السمراء جنوب مصر والمغرب الاسلامي وليس السودان الحالي)، وكان أغلبهم من العبيد للجيش او جواري وزاد عددهم في خلافة المستنصر

بالله (427-487هـ/ 1035-1094م) الذي كانت أمه جارية سوداء وكانوا يكونون كتائب عسكرية ضخمة، وكذلك الصقالبة الذين دخلوا في جيش المعز وساهموا في الدولة كالوزير أبو الفتوح برجوان الصقلبي (ت 390هـ/999م).

وكل هذا بفعل السماحة التي امتاز بها الفاطميون، إضافة إلى تفضيلهم للكفاءة والولاء على حساب النسب.

ونأسف اليوم في العالم الاسلامي لازدياد العنصرية بين المسلمين أنفسهم، حيث رجعت النزعات القبلية كما هو في ليبيا والسودان والصومال وغيرها من الدول، واستحقار وإبعاد لطوائف مسلمة مهاجرة من مدة بعيدة كما هو حاصل للبدونوالبرماوية في الخليج العربي.

ولكن يجب أن نشير إلى أنّ أحوال ومساهمات هذه الأعراق تذبذبت من عرق إلى آخر حسب الخلفاء، فكل خليفة قرب جنسا دون الآخر ومس هذا حتى الجيش الذي ضم بشكل خاص المغاربة والسودان والأتراك والديلم والأرمن، وكان لهذه السياسة أثر سيئ على الدولة وكانت من أسباب الضعف، حيث أدت إلى تنافس هذه العناصر على السلطة ووصل التنافس إلى استعمال القوة واستنفار كل فئة لأنصارها من الجيش كما كان يحصل بين الأتراك والسودانيين، كما شهدت سماحة الفاطميين بعض الانتكاسات التي حصلت في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م)، الذي كان مضطربا في سلوكياته، وعرفت بعض سني عهده اضطهادا لبعض الطوائف كأهل الذمة.

2- طبقات المجتمع:

أصبح المجتمع الإسلامي بما فيه الفاطمي بعد القرن (2هـ/9م) أكثر طبقية وتمايزا بين فئات المجتمع بعد ضعف وتباطؤ حركة الفتوحات، والميل إلى حياة الترف، وللمؤرخين والباحثين أبحاث كثيرة وآراء متضاربة في تصنيف طبقات المجتمع الاسلامي عموما، وخلاصة أبحاثهم تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات خاصة وعامة وعبيد وأهل ذمة تحت كل طبقة فروع تندرج في إطارها.

الخاصة:وقدضمتالخليفة محاشيته ووزراءه وكبارالقادة ورجال الدولة، يأتي على رأسها الخليفة وقد تمتعت هذه الطبقة بالسيادة على باقي الطبقات وما يتبعها من التمتع دون رقيب بخيرات الدولة.

العامة:وشملت باقي السكان من أهل العلم وأصحاب الحرف والتجار والفلاحين، وتمثل غالبية سكان الدولة وكانت فئاتها متفاوتة في مستوى المعيشة فبعض التجار كانوا على قدر عظيم من الغنى.

العبيد:وتشمل العبيد الأبيض والخصيان كالصقالبة والعبيد الأسود وجواري الجنسين، وقد استطاعت هذه الطبقة أن تتواجد بين الطبقتين السابقتين، حيث استطاع بعض العبيد خاصة الأبيض من الصقالبة أن يصل إلى مناصب قيادية في الدولة كالوزير أبو الفتوح برجوان الصقلبي الذي كان عبدا خصيا وتدرج في المناصب

حتى تقلد الوزارة، وكان لعبيد السودان مساهمة عسكرية كبيرة حيث كانت لهم كتائب خاصة بهم، كما كان للجواري الماهرات بالغناء بشكل خاص مكانة عند الخاصة ووصلت بعض الجواري إلى قصور الخلفاء كأم الخليفة المستنصر بالله التي كانت جارية سوداء عند والده الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م).

أهل الذمة: وهم غير المسلمين في الدولة الاسلامية المتمتعين بحق المواطنة والحماية مقابل شروط معلومة ضبطتها الشريعة الاسلامية، وقد تمتعوا بأسمى درجات الرحمة واحترام الحقوق بما يسمح به الشرع ولم يتعرضوا لما يسوؤهم إلّا في خلافة الحاكم بأمر الله.

وقد كانت الفوارق الاجتماعية بين الطبقات كبيرة جدا خاصة من جانب الدخل المالي والأوضاع الاقتصادية، فقد تمتعت الطبقة الخاصة بحياة اقتصادية جيدة، مستفيدة من أموال الدولة كأجور وهبات، وهذا بالرغم من أنّ الفكر الشيعة الاسماعيلية ينادي إلى بناء عدالة اجتماعية إلّا أنّه لم يستطع تطبيق ذلك في الدولة العبيدية في مصر.

نتيجة لكل ما سبق يتبين لنا أنّ العبيديين بالرغم من انحرافاتهم الدينية الكبيرة إلّا انّهم حافظوا على تعاليم الاسلام السمحة في العدالة بين الأعراق المختلفة وفي معاملة غير المسلمين، إلّا أنّ هذه العدالة لم ترق إلى عدالة بين طبقات السكان من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

المحور الثاني: المجتمع المشرقي في عهد الفاطميين.

المحاضرة 2: دور وواقع المرأة في المجتمع الفاطمي في المشرق.

هدف المحاضرة: رصد دور وواقع المرأة في الحياة العامة في المجتمع الفاطمي في المشرق.

تمتعت المرأة في الحضارة الاسلامية بكامل حريتها في إطار تشريعات الاسلام التي أنصفتها وضبطت حقوقها وواجباتها التي تسمح لها بتطبيق الرسالة المنوطة بها فهل احترم الفاطميون في المشرق هذه التشريعات وأكرموا المرأة؟ وهل سمحوا لها بالمساهمة في الحياة العامة؟.

1- أوضاع المرأة الفاطمية في المشرق في العصر الفاطمي:

تباينت أوضاع المرأة في العصر الفاطمي بالمشرق حسب طبقات السكان فلم تكن النساء على نفس الدرجة من ظروف المعيشة والمعاملة فما عاشته نساء الطبقة الحاكمة اختلف جوهريا عن الطبقات الأخرى.

أ- نساء الطبقة الخاصة:

وتضم نساء الخليفة من زوجات وجواري ونساء الحاشية، إضافة إلى الخادمات المقربات اللائي كن يشرفن على خدمة الخليفة وأهل بيته وحاشيته، كالإشراف على مائدة الخليفة التي كانت تسند للنساء فقط، والإشراف على خزانة ألبسة الخليفة إلى ما هنالك من وظائف القصور ويطلق الموكلات بها المستخدمات عند الجهات العالية، وقد تمتعت نساء هذه الطبقة بقدر كبير من الاحترام وتمتعن بالنفوذ والقدرة على التأثير في مجريات الأمور، وعلى رأسهن نساء الخليفة اللائي لقبن بالجهة المعظمة أو الجهة المعظمة، وعلى باقي نساء الأسرة الست الشريفة.

وكن لا يختلطن بالعامة وحظين بكل ملذات الحياة من المال والنفوذ، وكانت ألبستهن في غاية الأبهة تتكون من المواد الثمينة من الذهب والحرير وتتدرج قيمة اللباس حسب مكانة المرأة أدناه الحرير الذي تلبسه الخادمات.

بـ- نساء الطبقة العامة:

تمتعت نساء هذه الطبقة كباقي المسلمات في الأمصار الاسلامية بحقوقهن كاملة وساهمن في من موضعهن وحسب قدرتهن في توفير حاجياتهن كربات بيوت وكانت لهن مساهمات اقتصادية، ومن المهن الخاصة بالنساء والتي منعت في المجتمع الفاطمي النائحة (البكاء على الميت)، وقد عانت المرأة الفاطمية في بعض الفترات السياسية المضطربة كما عانين في خلافة الحاكم المضطرب الذي منعهن من الخروج من منازلهن وتعرضن في خلافته لكثير من المهالك لما كان يفعله مع عبيده من حرق للممتلكات وانتهاك للحرمات فسبيت نساء خلق كثير، ففعل بهنّ الفواحش والمنكرات، حتى إنّ منهنّ من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة، واشترى

الرجال منهم من سبي من نسائهم من أيدي العبيد، ومع هذا كان لهن حرية الخروج الى الاسواق والمساجد والمجالس العلمية والحمامات الخاصة بهن وحتى إلى الشواطئ للتنزه.

وكانت ألبسة وزينة نساء العامة بسيطة باستثناء نساء بعض التجار، وقد لبست النساء المسلمات الحرائر الخمار والنقاب لتغطية الوجه والذي يلبس خارج المنزل والجلباب أو الثوب، ولبسن سراويل قصيرة تحت أثوابهن وفوق ثيابها ملاءة واسعة فضفاضة تخفي كامل جسدها، وكانت المرأة التي تخالف ذلك وتظهر مفاتنها تحاسب من طرف المحتسب.

جـ- الجواري:

عومل العبيد قبل الاسلام معاملة البهائم أما الإسلام عامل الرقيق معاملة تجمع بين العدالة والإحسان والرحمة وأمر بذلكوألغى الفروق بين السيد والعبد وساوى بينهما في الانسانية وفي الحقوق، فقد كانت الجواري لا يحصين في المجتمع الاسلامي بما فيه الفاطمي، وكن من مختلف الأعراق والأمصار حيث كان يحضرهن النخاسون (تجار العبيد) ويبعن في أسواق النخاسة وأغلبهن من غير المسلمات لأنّه لا يجوز استرقاق المسلم (إلّا إذا كان كافرا ثم أسلم أو ولد لجارية كافرة فإنّه يتبعها في الرق)، فعشن في المجتمع الفاطمي حسب تعاليم الشريعة الاسلامية.

غير أن واقع الجواري اختلف حسب ما يبرعن فيه وحسب وظائفهن وحسب جمالهن، فمنهن من ولجن قصور الخلفاء والحاشية لجمالهن ومنهن من صرن محضيات عند الخلفاء وأنجبن خلفاء فالخليفة العزيز أشهر زوجاته جارية نصرانية وهي أم ست الملك أخت الحاكم بأمر الله، والخليفة الظاهر أمه جارية وتزوج من جارية أنجبت إبنه الخليفة المستنصر، أو براعتهن في الغناء والموسيقى فكانت الجارية الماهرة بالغناء تباع بأثمان باهظة، أو لبراعتهن في الخدمة حيث كانت خدمة القصور تسند للجواري الماهرات، فأصبحن من خاصة القوم، وأفضل من النساء الحرائر، وهذا لتقريب رجال الخاصة لهن لأحد الاسباب المذكورة فأصبح لهن مكانة عالية وامتلكن أموال طائلة ومن افتقرن للمؤهلات المذكورة يعشن حياة عادية مع باقي المجتمع، وفق أحكام الرق في الحقوق والواجبات من ذلك منعهن من التشبه بالحرائر في لباسهن.

د- نساء اهل الذمة:

تمتعت النساء الذميات في المجتمعات المسلمة بما فيه الفاطمي بحقوقهن وحريتهن وفق شروط عقد الذمة الذي التزم به المسلمون وفق الشريعة الاسلامية التي تضمن لهم العدالة والإحسان والرحمة حيث كانت المرأة الذمية لا تؤخذ منها الجزية بل تفرض على الرجال من أهلالذمة كما تحفظ أنفسهن وأعراضهن وأمالهن بمجرد قبولهن العهد. كما يجب حفظ أعراضهمن وحتى إن زنى مسلم بذمية يقام عليه الحد ولهن الحق في حرية

المعتقد وممارسة الشعائر الدينية. ولهن الحق في المعاملات الخاصة كالزواج وغيره والحق في الاختلاط بالمسلمين لأهل الكتاب (اليهود والنصارى فقط لأنّ من أهل الذمة المجوس والصابئة) منهمن في الطعام وزواج المسلم من الكتابية ولا يجوز الزواج من غير الكتابية بإجماع الأمة. وحق الزوجة الذمية (الكتابية) المتزوجة من مسلم في العدل مع الزوجة المسلمة في النفقة والسكنى. ولها الحق في الطلاق والخلع. إضافة إلى توقيرهن واحترام خصوصياتهن. ولهن حق التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر، قال سيدنا عمر بن الخطاب τ: "ما أنصفناه إذا أخذنا منه الجزية في شبيبته ثم نتركه في هرمه" وقد أمر τ وكذلك الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بصرف معاشات من بيت مال المسلمين للعجزة والمسنين من أهل الكتاب.

وكان عليهن عدم التشبه بالمسلمات في أزيائهن وتغيير هيئاتهن حتى يعرفن أنّهن غير مسلمات ويعرف ما لهن وما عليهن.

وعاشت الذميات في كنف التسامح والحرية في أغلب فترات التاريخ الفاطمي الذي تساهل أكثر مع الذميين حتى وصلوا إلى أعلى المناصب، وبلغ ذلك أوجه في عهد الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/ 975-996م) الذي كانت زوجته جارية نصرانية، غير أنّ ذلك تغير في عهد خليفته الحاكم بأمر الله الذي ضيق على كل النساء حتى المسلمات وعلى أهل الذمة من الناحية الدينية والاجتماعية تضييقا لم يسمع بمثله، وشهد عصر المستنصر بالله (427-487هـ/ 1035-1094م) شيئا من التضييق ولكنه لا يقارن بما فعل الحاكم بأمر الله وكان دافعه (المستنصر) إلى ذلك إستطالة الذميين على المسلمين لما وجدوه من التسامح، ففرض على الذميات لباسا معينا بوضع الزنار وأن يعلقن في رقابهن الدراهم تكتب عليها ذمي أو خاتم تعرفن به في الحمامات، ويخالفن في لون أحذيتهن جهة حمراء وأخرى سوداء والجلاجل في أرجلهن.

2- دور المرأة الفاطمية في المشرق في العصر الفاطمي:

أ- دورها في الجانب السياسي:

تمكنت المرأة الفاطمية من الطبقة الحاكمة من ترك بصمتها في الحياة السياسية المضطربة التي كثرت فيها الدسائس والمؤامرات والصراع بين أطياف الدولة، وتمكنّ حتى من التأثير في منصب الخليفة وتغيير مجرى الأحداث على رأسهن ست الملك (ت 415هـ/1024م)ابنة الخليفة العزيز بالله وأخت الخليفة الحاكم، التي كانت ذات شان في خلافة والدها العزيز فكان يحترم تدخلاتها في شؤون الحكم، غير أنّ أثرها السياسي يظهر بقوة في خلافة أخيها الحاكم ثم ابنه الظاهر، فقد كان لست الملك دور في خلافة الحاكم في بدايتها لصغر سنه وبعد كبره صار يستشيرها ويسمح بتدخلها في الأمور الداخلية والخارجية، ولكن ساءت العلاقة بينهما مع الوقت، فذاق بها الحاكم ذرعا ومن تدخلاتها وأساء إليها وكان هذا ديدنه مع الكثير من رجال الدولة والرعية،

فتمكنت حسب كثير من المؤرخين من التآمر عليه لسياسته المتقلبة خوفا من ذهاب الدولة وتمكنت من قتله سنة (411هـ/م) وتولية ابنه الظاهر مكانه والذي يأتي مع القرن الخامس الهجري وهو عصر جديد عصر الضعف الذي زاد فيه تدخل النساء الفاطميات بقوة في الحياة السياسية بعد أن صار يصل الى الخلافة خلفاء صغار السن ضعاف التدبير بداية بالظاهر الذي كان صغير السن، فتولت عمته ست الملك الوصاية عليه وإدارة الدولة مكانه وكانت لها الكلمة العليا في تنصيب رجال الدولة والقضاء عليهم ودامت سطوتها إلى وفاتها.

ومنهن زوجة الخليفة العزيز بالله التي كانت جارية نصرانية وكان لها تأثير في خلافته خاصة في علاقته بالنصارى الذين أعطتهم امتيازات عديدة خاصة المناصب العالية، والسيدة رصد أم الخليفة المستنصر بالله (427-487هـ/1035-1094م) وهي جارية سوداء ظهر تأثيرها بعد وصول ابنها إلى الخلافة وسنه سبع سنين، فتولت مقاليد الأمور مكانه واحاطت نفسها بمظاهر السلطة وتسمت بالسيدة والملكة ومولاتنا، واستعملت ذلك في مراسلاتها المختلفة وتدخلت في الشؤون الداخلية والخارجية وتمكنت من إدارة المناصب السامية تولية وعزلا، وتدخلت في الجيش فاستكثرت من الجند الأسود وقربتهم فتسببت بذلك من تأجيج الصراع بين كتائب الجند خاصة بين الأتراك والسودان الذين اندلعت بينهم معارك طاحنة استنزفت قوة الدولة، وكان ذلك من أسباب بث الفتنة أكثر بين الجند ثم ضعف الدولة فقد كانت سياستها هذه أسوء ما فعلت حتى استبد الجند الأتراك خصوم الجند الأسود بالسلطة وصادروا أموالها وزالت سلطتها.

ولما زاد تسلط الجند واضطربت الأوضاع استدعى الخليفة من الشام القائد العسكري الإرميني بدر الدين الجمالي (465-487هـ/1073-1094م) ليضبط الاوضاع ويعيد الاستقرار، وبهذا دخل عنصر جديد إلى الجيش، وكل هذه المشاكل من أبرز أسبابها تدخل أم المستنصر في السلطة واستكثار عنصر من الجند وتقويته على حساب العناصر الأخرى ما أدى إلى الفوضى والضعف.

واستمر تأثير النساء في السياسة الفاطمية إلى آخر العهد الفاطمي، ففي خلافة العاضد لدين الله (555-567هـ/1160-1171م) الذي كان مستضعفا من وزرائه كان لعمتيه الكبرى وخاصة الصغرى الملقبة بسيدة القصور دور في سياسة الدولة، وتمكنت من إبعاد منافسيها في الوزارة واستمرت دسائسها إلى دخول صلاح الدين إلى القاهرة وإسقاط الدولة الفاطمية (567هـ/1171م).

بـ- دورها في الجانب الاقتصادي والاجتماعي:

بالرغم من الثراء والرفاه الذي عرفته الدولة الفاطمية إلّا أنّ دور المرأة الفاطمية الاقتصادي والاجتماعي أضعف من السياسي، فأبرز ما تميزن به امتلاك نساء الخاصة لأموال طائلة ساهمن بها في بناء المنشآت المختلفة، وكان لنساء العامة مساهمات إقتصادية كمساهمتهن في صناعة النسيج التي ازدهرت في مصر الفاطمية

حتى في بيوت نساء العامة، كما مارسن مهن أخرى كغسل الموتى والقابلة وتزيين العرائس وبيع الملابس الجاهزة، وأكثر من ذلك كانت النساء أكبر ضحايا الأزمات الاقتصادية، واهتمت بعض النساء الخاصة بالفئات الهشة من النساء كزوجة الخليفة الآمر بأحكام الله جهة مكنون والمسماة علم الآمرية التي أقامت دار خاصة للعجائز والأرامل سنة (526هـ/1131م) وكان لها صدقات وبرّ وخير.

جـ- دورها في الجانب الديني والعلمي:

لا نجد للمرأة الفاطمية تأثير وأدوار علمية بارزة، ومما نجده أنها ساهمت في بناء العديد من المساجد كجامع القرافة الذي بنته السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز وهو ثاني جامع بعد الازهر، ومسجد السيدة رقية الذي شيدته علم الآمرية زوجة الخليفة الآمر بأحكام الله سنة (527هـ/1132م)، وبعض النساء عملن بالوعظ والقاء الدروس الدينية كالسيدة أم الخير الحجازية التي كانت وعظة زمانها وكان لها رباط باسمها وتدرس النساء في جامع عمرو بن العاص، أما أشهر مجالس الوعظ والتعليم التي ترتادها النساء فقد كانت تحت إشراف الدولة وهي مجالس الدعاة التي يؤمها كبار دعاة الاسماعيلية وكانت تعقد بصفة دورية لتفقيه نساء الدولة.

يتبين لنا في الأخير أنّ المرأة في المجتمع الفاطمي المشرقي على مختلف طبقاته تمتعت بحقوقها الشرعية وعلى رأسهن نساء الطبقة الحاكمة اللائي تفوقن على باقي النساء في التأثير في الحياة العامة وخاصة في الجانب السياسي.

التقويم النهائي: كيف أثرت العلاقات الفاطمية العباسية على العالم الاسلامي الوسيط؟.

المصادر والمراجع:

اولا المصادر

ـ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728ھ/ 1328م):
مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1995.

ـ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597ھ/1201م):
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.

ـ الذهبي شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748ھ/1347م):
سير أعلام النبلاء،مؤسسة الرسالة، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، بيروت، 1985.

ـ ابن العبري أبو الفرجغريغوريوس بن أهرون الملطي (ت685ھ/1286م):
تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط2، دار الشرق، بيروت، 1992.

ـ ابن الطقطقي مُحَمَّد بن علي بن طباطبا (709ھ/1310م):
الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، تحقيق: عبد القادر مايو، ط1، دار القلم العربي، بيروت، 1997.

ـ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت774ھ/1372م):
البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ط1، دار هجر، بيروت، 1997.

ـ ابن النديم أبو الفرج مُحَمَّد بن إسحاق البغدادي (ت بعد400ھ/1009م):
الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1997.

– ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ) تاريخ دمشق, تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1995.

ـ ابن الجوزي:
القرامطة.

ثانيا المراجع

ـ الباشا حسن:
دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990.

ـ بيطار أمينة:
تاريخ العصر العباسي، ط4، جامعة دمشق، دمشق، 1997.
– الدوري عبد العزيز:
العصر العباسي الأول، ط3، دار الطليعة، بيروت، 1997.
ـ الزركلي خير الدين:
الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
ـ جمال بدوي
الفاطمية دولة التفاريح والتباريح
ـ مُحَمَّد عبد الله عنان
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة
ـ مُحَمَّد عبد الله عنان
الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية
ـ ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي
تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة
ـ مُحَمَّد سهيل طقوش
تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام 297-567هـ
ـ عبد الرحمن عزام
صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني
ـ أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداری
كنز الدرر وجامع الغرر6الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية
ـ الصلابي
الدولة الفاطمية
ـ الصلابي
دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي
ـ سعد بن موسى الموسى
موقف الإمام الذهبي من الدولة العبيدية نسباً ومعتقد ومعتقداً
-مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

-مجلة المورد، وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد.
-مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980.